الخطبة الرابعة والعشرون

بعض مبادئ الإسلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

إن الخوف من الإسلام الذي شاع في الآونة الأخيرة، ويطبل له ويزمر له أعداء الإسلام، قضية ليست بالجديدة، والاتهامات التي تكال للإسلام والمسلمين ليست جديدة، وهذه الاتهامات لها أشكال مختلفة باختلاف الزمان والمكان:

1- فحيناً تكون باتهام الإسلام والمسلمين بالرجعية والالتزام بمبادئ قديمة عمرها (1500) سنة.

2- وحيناً يتهمون الإسلام بأنه يقيد الحريات.

3- وحيناً يتهمون الإسلام بأنه قيّد المرأة وشلّها ومنعها وحجبها.

4- وحيناً يتهمون الإسلام بأنه ضد التحضر والتقدم الاقتصادي لأنه حرم الربا.

5- والآن يتهمون الإسلام بالعنف والتخريب والإرهاب والقتل.

وقد قام العلماء بشرح لبعض مبادئ الإسلام، فنحن المسلمون:

1- نبين ما هو الإسلام: ومن مبادئه أن مصادر التشريع في الإسلام أربعة: 1- القرآن، 2- السنّة، 3- الإجماع، 4- القياس.

2- نبين أصول الإسلام: من كلام الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ وفَهْم السلف الصالح للنصوص والأحكام.

3- نحن لسنا كغيرنا: نحن لا ندّعي ونتكلم ونطلق الشعارات، نحن نُري العالم تطبيقات ديننا في الواقع العملي، لذلك نقص عليكم التاريخ وسيرة الذين سبقونا.

4- ونحن عندما نقص التاريخ ونقص سير الذين سبقونا نوضح بهذه الحوادث والقصص الفهم الصحيح لمبادئ الإسلام، لأن هناك في كل عصر وفي كل زمان وفي كل جماعة وفئة دينية أو غير دينية من يفسر مبادئ دينه وجماعته بطريقته وفكره وعقله وتأويلاته وتحليلاته، فمن كان تفسيره وفكره وعقله وتحليلاته مطابقة لمفهوم السلف وللذين سبقونا، فنحكم على فكره وعقله وتحليلاته بالصحة والاستقامة، ومن كانت تحليلاته مخالفة لقصص السلف وسيرتهم؛ فمعناها: أن تحليلاته خاطئة وليس الإسلام والمسلمون مسؤولون عنها والإسلام والمسلمون بريئون منها.

5- وهناك فكرة نبذها الناس على مر التاريخ ولكن الناس يرتكبونها دائماً، لذلك لا بد من التذكير بها وبيان عِوَجِها: وهي أن الناس يتهمون المبادئ نتيجة فعل أصحابها، فمثلاً إذا ارتكب أحد المنتسبين إلى دين أو حزب فعلاً ما أو سلوكاً معيناً، يقولون: إن دينه أو حزبه أمره بهذا؛ إذا فجّر أحد المسلمين داراً أو مقراً، يقولون: الإسلام يأمر بالإرهاب؛ لأن مرتكب الجريمة اسمه عبد الله أو محمد، لماذا دائماً نرفع الخطأ عن الفاعل وننسبه إلى دينه أو مذهبه؟ الأخبار ووسائل الإعلام الآن مليئة بالأخبار عن القساوسة الكاثوليك الذين يرتكبون جرائم جنسية محرمة شرعاً وقانوناً، فهل نقول أن المسيحية الكاثوليكية أمرت بهذا وحللت هذا؟ أو نقول: بإن كل الكاثوليكيين يفعلون هذا؟ هذا خطأ شنيع، نعم هناك إرهابيون من كل ملة ومن كل دين ولا ننسى (Christian Fundamantalist) الذين ارتكبوا جرائم قتل وتدمير في أوروبا في بداية القرن التاسع عشر والنصرانية بريئة من أعمالهم وتفسيراتهم وتحليلاتهم.

6- وهناك نقطة مهمة بأن الأفعال الشخصية تقاس ويحكم عليها من خلال الزمان والبيئة، ولا يمكن لبيئة أخرى في زمان آخر الحكم بالصحة والخطأ على البيئة الأولى، مثال ذلك:

في الغرب اليوم لا يحق لرجل راشد أن يتزوج من قاصرة أي دون السن القانوني للزواج وهو (18) سنة، فلو أتى شخص عمره (25) سنة وتزوج من فتاة عمرها (14) سنة فهذا يقاضى قانونياً.

إذا كان هذا هو القانون في الغرب، فما بالك في أفريقيا عندما تتزوج فتاة في الثامنة والتاسعة والعاشرة من عمرها من رجل في العشرين والخامسة والعشرين من عمره؟! لأن الفتاة الأفريقية وخاصة في المناطق الحارة تكون في سن البلوغ في الثامنة، بينما في الغرب قد تكون (15) سنة فلا يحق لبيئة الحكم على بيئة أخرى.

وكذلك التعدد في الزوجات، خذ مثلاً الآن الفليبين (75 ٪) نساء و (25 ٪) رجال، كيف نحل هذه المشكلة؟ -فكر على كيفك- وناقش على كيفك، ولكن لا يوجد أَسْلَم ولا أَعْدَل من حل الإسلام، ولكن التعدد جريمة في الغرب. لذلك الذين يكيلون للإسلام والمسلمين ولرسول المسلمين الاتهامات والشتائم، ويقولون: بأن الرسول تزوج صغيرة وما إلى ذلك، فهذا ليس عيباً ولا منقصة في بيئتهم ومجتمعهم. ولو كان كذلك لكان أول المعترضين أصحاب البيئة نفسها وخاصة أن هناك أعداء للإسلام والمسلمين في تلك البيئة ولا يمنعهم شيء من التكلم وكيل الاتهامات، وحيث أنهم لم يتكلموا، فهذا يعني أن ذاك الفعل ليس عيباً وليس مخالفاً ولا مشيناً للعادات والتقاليد وللعُرْف العام آنذاك.

7- ومصيبة أخرى نواجهها وهي: المدرسة العقلانية، وهي مدرسة شائعة اليوم جداً بين كل الفئات والأطياف، وأقول باختصار بأن العقل مهم جداً والتفكر في الأمور مهم جداً، وفهم الأوامر والأمور مهم جداً وهذا كله لا يكون بدون عقل وفكر

فهذه مهمته، ولكن ليست مهمة العقل الحكم على الأوامر من حيث قبولها أو ردها فهذه ليست مهمة العقل ... العقل يفهم ويحلل ما شاء ولكن ليس له الحكم بالصحة والخطأ أو القبول أو بطلان هذا الحكم، فإذا قال الله تعالى: الزنا حرام، هذا حكم وليس للعقل القبول أو الرد، وإذا أمر الله بالحجاب فهو كذلك، وإذا قال الله تعالى: الربا حرام، فنحن لا نحتاج إلى فلسفة العقل وتحليلاته وحكمه في أن هذا مقبول أو مردود أو صالح أو غير صالح، والذي لا يكون منطقيًا من وجهة نظرك قد يكون هو عين الحق والمنطق ولكنك لم تستطع تَبَيُّنَهُ.

1- لمّا أعطى الإسلام المرأة حقوقها لم يكن هذا منطقيًا في وقته، 2- لمّا أمر الإسلام بتحرير العبيد لم يكن هذا منطقيًا في وقته، 3- لمّا حرم الإسلام الربا قامت الدنيا ولم تقعد إلى اليوم، 4- ولمّا أمر الإسلام بالعدل في الأموال والحقوق والمعاملات والأقارب لم يكن هذا منطقيًا في وقته.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 4 / 135].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 16 / 90]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: 16 / 91]، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ

وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: 6 / 151 – 152].

أمر الله سبحانه وتعالى بثلاث: العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهى عن ثلاث: الفحشاء والمنكر والبغي، وحرّم الله سبحانه وتعالى: 1– الشرك، 2– عدم البر بالوالدين، 3– قتل الأولاد خشية الفقر أو الوقوع في الفواحش، 4– الوقوع في الفواحش الظاهرة والخفية، 5– قتل النفس البريئة، 6– أكل مال اليتيم، 7– عدم الوفاء بالكيل والميزان، 8– أن لا يصدق المرء في الأقوال والشهادة، 9– عدم الوفاء بالعهد، 10– نقض الأيمان.

هذه مبادئ الإسلام فليسمعها العالم، هذه أوامر الله سبحانه وهذا ما طبقه رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده، يوم كانت الدنيا تعيش في الظلام والهمجية والظلم والاعتداء على أعراض الناس وممتلكاتهم.

في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة جاء رهط من عُضَل وقارة بناء على طلب من بني لِحْيَان حيان من هذيل، جاء هؤلاء الرهط إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرؤننا القرآن، فبعث رسول الله ﷺ معهم ستة من أصحابه وهم: مَرْثِد بن أبي مرثد الغنوي، وخالد بن البُكيَر الليثي، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وخُبَيْب بن عدي، وزيد بن الدثنّة بن معاوية، وعبد الله بن طارق، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت.

فلما بلغوا الرجيع غدروا بهم فقاتلوهم فقُتل مرثد وخالد وعاصم، وأما خبيب وزيد وعبد الله قبلوا عهد المشركين وأمانهم، ثم أن المشركين خانوا فأخذ عبد الله سيفه فرموه بالحجارة فقتلوه، وذهبوا بزيد وخبيب إلى مكة، فأما زيد فاشتراه صفوان بن أمية، فقتله عن أبيه أمية بن خلف، وأما خبيب فاشتراه بنو الحارث بن عامر بن نوفل، فلبث أسيراً حتى انتهت الأشهر الحرم، فصلبوه وقد كان محبوساً في بيت ماوية مولاة

حُجير بن أبي إهاب، وتكلمت عنه خير كلام ثم أسلمت، وهي التي طلب منها موسًا ليحتد به، ودرج إليه غلام فخافت أن يقتله وبيده الحديدة، فقال لها: خفت عليه، أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك وما نستحل في ديننا الغدر، وتركه، وهو الذي كان يأكل العنب في أسره وما في مكة عنب ولا كان وقته وهو الذي سن ركعتين سنة القتل وهو الذي دعا على قريش، (يحتد به) أي: يحلق به شعر عانته، و(الحديدة)هي الموس المستخدم في الحلاقة.

وعاصم بن ثابت أرادوا أخذ جثته ليبيعوه إلى سُلافة بنت سعد؛ لأن عاصم قتل ابنيها يوم أحد، وقد جعلت لمن أتى برأسه مئة ناقة تريد أن تشرب بقحفة رأسه الخمر، فأرسل الله على جثته الدّبْر -أي: الزنابير- تحميه، فقالوا: اتركوه إلى الليل فلما كان الليل بعث الله سيلاً فأخذ جثته، وقال عمر بن الخطاب: إن عاصمًا نَذَر أن لا يَمَسَّ مشركًا ولا يمسه مشرك أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته.

وفي صفر أيضًا من السنة الرابعة للهجرة قدم على رسول الله ﷺ لبيد بن ربيعة، وهو ابن أخ أبي البراء؛ عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة، وبعث إليه بهدية فلم يقبلها رسول الله ﷺ وقال لبيد: إن أبا البراء بعثني إليك؛ لأن به داء يريد أن يستشفيك، فأخذ رسول الله ﷺ قَدَرَة فتفل فيها وقال: «خذ هذه إليه» وقال عليه الصلاة والسلام: «دَفِّها بماء ثم اسقه إياها» ففعل فبرئ، وقال لبيد لرسول الله ﷺ: ابعث رجالاً من أصحابك إلى نجد لعل الناس تستجيب لهم، وقال: إن أبا البراء لهم جار.

بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلاً يُسَمَّوْنَ القرّاء، وأَمَّرَ عليهم المنذر بن عمرو الساعدي، ولمّا وصل الصحابة إلى بئر معونة وبعثوا حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل ابن أخ أبي البراء، أومأ عامر بن الطفيل إلى رجل فضربه بالرمح من ظهره أخرجه من صدره، فقال حرام: فزت ورب الكعبة، وكان الذي طعنه: جبار بن سلمى الذي أسلم بعد ذلك عندما فهم كلمة حرام بن ملحان عندما قال: «فزت ورب الكعبة»

-أي: أنه نال الشهادة وفاز بالجنة رضي الله عنه-، وقام عامر بن الطفيل إلى قتال باقي الصحابة، وناصره قبائل رِعْلٌ وَذَكْوَانُ وَعُصَيَّةُ، وقُتل الصحابة كلهم إلا كعب بن زيد، كان بين القتلى ولكنه لم يمت، وعاش وقتل يوم الخندق شهيداً، وكان بين القتلى عامر بن فُهيرة، لم يوجد جسده، وقال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة وارت جثته وأنزل في عليين» البخاري ومسلم.

وكان عمرو بن أمية الضَّمري، والمنذر بن محمد بن عقبة الأنصاري راجعين من مهمة في مكة، فرأوا الطير تحوم في موضع الوقعة في أصحاب بئر معونة، فجاؤوا إلى الموقعة وقاتلوا المشركين فقُتِل المنذر، ووقع عمرو أسيراً، فأخذه عامر بن الطفيل، وجر ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت لأمه، ولما أقبل عمرو بن أمية إلى المدينة لقي في طريقه رجلين من بني عامر ومن بني كلاب فقتلهما، وهو يرى أنه أخذ بثأر أصحابه، ولما قدم المدينة أخبر رسول الله ﷺ بما فعل بقتل العامريين، فقال له عليه الصلاة والسلام: «بئس ما صنعت! لقد كان لهما مني أمان وجوار لأدينهما» فبعث بديتهما إلى قومهما.

هذا هو الإسلام لا يغدر ولا يخون ولا يخالف أوامر الله سبحانه وتعالى، وهذا فعل رسول الإسلام، وهذا فعل خُبيب عندما لم يقتل الطفل، ديننا دين العدالة، دين الوفاء، دين الصدق، دين السلام، هذه مبادئ الإسلام.

وهذا الصديق رضي الله عنه وأرضاه، يوصي أسامة بن زيد رضي الله عنهما عندما بعثه لقتال المرتدين، وقال: يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً أو شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان

الطعام، فإذا أكلتم منها شيئًا فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقوامًا قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقًا، اندفعوا باسم الله أغناكم الله بالطعن والطاعون.

- انتقل أحد المسلمين إلى لندن وكان بيته قريبًا من المركز الإسلامي، وكل يوم يستقل الباص إلى عمله، وحيث أنه يأخذ نفس الباص في نفس الساعة كل يوم فإنه يرى نفس سائق الباص، ومرة صعدت امرأة مجلببة فسلمت على هذا الأخ المسلم، وفي ذات يوم أرجع السائق لهذا الرجل (20) بنسًا زيادة، وأخذ الرجل المسلم الزيادة ووضعها في جيبه، ثم قالت له نفسه: أن شركة الباصات لا يضرها (20) بنسًا والشركة مدعومة من مصلحة الضرائب، وراحت نفسه تحدثه إلى أن بلغ المحطة التي ينزل بها، فتوقف وأعاد للسائق (20) بنسًا، فقال السائق: كنت أحدث نفسي بزيارة مركزكم الإسلامي ولكن أحببت أن أختبركم قبل أن آتي إليكم وأختبر أخلاقكم، فنزل الأخ المسلم من الباص ورجليه تقصفان والدمعة في عينه، وقال لنفسه: كنت لأضيع سمعة المسلمين وتعليمات الإسلام بعشرين بنسًا! يا الله! (اللهم لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) اللهم آمين، هذه بعض مبادئ الإسلام فتحلَّ بها وانشرها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم